المعتقدات الدينية بين ثنائية السحر والأسطورة(رؤية أنثروبولوجية دينية)

Religious beliefs between magic and myth (An anthropological view of religion)

خميس حياة[1،*]

[1] جامعة لونيسي علي البليدة -2- khemis.hayat@gmail.com

تاريخ الإرسال : 2021/12/02 ؛ تاريخ القبول : 2021/12/24

ملخص الدراسة:

شكل الدين موضوعا قيما بالنسبة للأنثروبولوجيا الدينية التي عالجت مشكل الدين من حيث النشأة والتطور والأصول البدائية للمعتقد الديني، وتمثل المعتقدات الدينية جزء من المنظور الديني كونها تخضع إلى تصورات دينية سواء تلك التي ترتبط بالسحر أو الأسطورة، وسنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي الانثروبولوجيا الدينية؟ ماذا نقصد بالمعتقدات الدينية؟ ما طبيعة العلاقة بين كل من السحر والدين؟ والأسطورة والدين؟ زمنه سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وما يتعلق بجوانب الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الانثروبولوجيا؛ انثروبولوجيا الدينية؛ المعتقد، الدين، السحر، الأسطورة.

Abstract:

Religion Is a valable topique for religions anthropologie, which deals with the problème of the origine of religion in terms of its genèses, développent, and the primitive origines of religions belief: What Is Religious Anthropologie? What do we mean by religions beliefs? What Is the nature of the Relationship between magic and religion? And myth. and thèse questions and related aspects of the subject religion? And frome It we Will tory to answer of the study,

Keywords: Anthropologie, religions anthropologie, belief, religion, magic, myth..

1- مقدمة:

لقد إهتمت العديد من الدراسات بتحليل ودراسة النظام الديني، كالأنثروبولوجيا الدينية، وعلم الاجتماع الديني، وفلسفة الأديان... وتنوعت وجهات النظر والتفسيرات المقدمة لفهم الدين ونشأته وأصوله بإختلاف تصوراتهم العلمية والمعرفية لفهم الظاهرة الدينية.

يشكل الدين نسق من الأنساق الاجتماعية المؤثرة في كافة الأنساق الأخرى، ويكمن القول أن الدين نظام اجتماعي يعبر عن تصور معين وأسلوب خاص لفكرة الفرد أو الجماعة، والدين في جوهره العام الجانب المقدس في حياة الفرد والمجتمع.

إن الدين لا يزال مصدرا للأفكار والمعتقدات الأساسية لدى الإنسان بصفة خاصة، والمجتمع والجماعة الاجتماعية بصفة عامة وتخضع هذه الممارسات عادة إلى تصورات دينية نابعة عن مختلف الشعائر الطقوس، والعادات والتقاليد والأعراف التي تندرج ضمن نطاق النسق الديني.

وتمثل الممارسات الدينية تعبيرا عن ثقافة، حيث اتخذت أشكالا وعدة مظاهر وطقوس جعلت منها أهمية كبيرة في كونها ساهمت في صنع المواقف وتحديد الاتجاهات ونمط الحياة.

ونظر "**دوركايم**" إلى الأفكار والممارسات الدينية على أنها تشير وترمز إلى الجماعة الاجتماعية، كما اعتبر المجتمع المنبع الأصلي للدين ولذلك عرف الدين بأنه نسق موحد من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشيء مقدس وهذه المعتقدات والممارسات في مجتمع أخلاقي واحد يضم الذين يرتبطون به.

ويرى "**دوركايم**" أن الدين يضم مجموعة من المعتقدات، والممارسات في نسق شامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة، وهذه المعتقدات توجد بين الأفراد وتخلق مجتمعيا أخلاقيا، أي الإسهام الجمعي في المعتقدات يعتبر شرطا

أساسا لوجود الدين، كما أوضح "دوركايم" أن الطبيعة الملزمة للمعتقدات والممارسات الدينية، وقوة الدين وارتباطه بأشكال الفكر الأساسية يرجع إلى أصله المرتبط بالمجتمع(**مهدي محمد القصاص، 2008، ص 51،52**)

وبناء على مختلف الدراسات التي تناولت نشأة وتاريخ الأديان أشارت إلى أن المعتقدات الدينية أو (الاعتقاد الديني) يكون نابع من منهجين أساسين: الأول الاعتقاد الديني الرسمي الذي يتقيد به الفرد من خلال الأصول ومبادئ الشريعة ، والمنهج الثاني الاعتقاد الديني الغير رسمي الذي يقبل فيه الفرد مختلف الممارسات الشعبية مثلا كالسحر والأسطورة.

إن الجدلية القائمة بين كل من الدين والسحر والأسطورة أفرز ت بدورها تصورات وممارسات التي تأخذ شكل المعتقدات الدينية بإعتبار الدين جزء من المجال الأيديولوجي للمجتمع.

ومن خلال هذا المنطلق سنتعرض في هذه الجزئية إلى المعتقدات الدينية ومسألة السحر والأسطورة من منظور أنثروبولوجي ديني.

1.1- تحديد مفاهيم البحث العامة

_مفهوم الأنثروبولوجيا: ترجع كلمة الأنثروبولوجيا Anthropology أساسا إلى كلمة يونانية الأصل تتكون من مقطعين أولهما Anthropos وتعنى الإنسان والثانية Logy أو Logos ويعنى العلم، وبهذا تعنى الكلمة الأجنبية في اللغة العربية (علم الإنسان) . (**المكاوي محمد علي ، 2007، ص 09**)

ويشير الأستاذ "**حسين عبد الحميد أحمد رشوان**" من جهته إلى أن الأنثروبولوجيا تعني الدراسة المتكاملة للإنسان بما تحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفسيولوجية وثقافية واجتماعية.

(**حسين عبد الحميد رشوان، 2003، ص03**)

ولقد عرف "**كلود ليفي ستروس**" الأنثروبولوجيا بأنها تهدف إلى معرفة كلية وشمولية للإنسان وعلاقاته بإمتداده التاريخي ومحيطه الجغرافي (**تلوين مصطفي، دس، ص 22**)، فالأنثوبولوجيا في جوهرها العام تهتم بدراسة أصل الإنسان وكل ما يتعلق بحياته، خاصة من الناحية الإجتماعية والثقافية.

ولقد ركز علماء الأنثروبولوجيا الأوائل على دراسة اللغات واللهجات والنظم والعادات والتقاليد والممارسات الشعبية، فإن البدايات الأولى لهذا العلم ترجع إلى الفلاسفة والمفكرين القدامى الذين تناولوا موضوعات تتعلق بالدين والسلالة وتقسيم المجتمع إلى طبقات ولكنها اصطبغت بالصبغة الفلسفية، ومن ثم فقد تناول العيد من الفلاسفة مثل أفلاطون موضوعات أكثر حداثة مثل طبيعة العلاقات الاجتماعية والجماعات العرقية، وتعتبر الرحلات وتقارير المؤرخين رافدا أخر للدراسات الأنثروبولوجية ومن هؤلاء هيرودوت الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد ويعتبره معظم كتاب الأنثروبولوجيا أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ فقد جمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية حيث تناول تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية (**يحي مرسي عيد بدر،2007، ص20**). ومع تطور البحث في علم الأنثروبولوجيا، صار مجاله أكثر تحديدا "وتبلورت عنه فروع، حتى أن تشالز وينيك قد ذكر عام 1956م أن علم الأنثروبولوجيا يضم الفروع الأربعة التالية: علم الآثار واللغويات،

الانثروبولوجيا الثقافية، والأنثروبولوجيا الطبيعية. وبهذا يتضح من المعنى أن موضوع هذا العلم هو الإنسان وبالتالي فالإنسان هو الإطار الوحيد الذي يضم الموضوعات التي يدرسها هذا العلم.

(المكاوي محمد علي، 2007، ص 10)

_الأنثروبولوجيا الدينية لمحة تاريخية:

إهتم الأنثروبولوجيين بدراسة وتحليل نظام الدين عند مختلف الشعوب باعتباره أداة لتماسك الاجتماعي ومصدر للأفكار والمعتقدات الأساسية لدى الإنسان لذلك نجد "إيميل دوركايم" يضع مفهوم للدين على أنه نظام موحد للمعتقدات والممارسات التي لها علاقة بأشياء الدينية المقدسة، فالدين يستلزم في المقام الأول وجود المقدس وبعده تنظيم المعتقدات وأخيرا ممارسة الطقوس التي تنبثق من مجموعة المعتقدات. **(فيلالي صالح، د س، ص 22)**

يعرف الدين على أنه التعبير الجمعي عن الخبرة الدينية الفردية وقد تم ترشيدها في قوالب فكرية وطقسية وأدبية ثابتة **(فراس السواح ،2001، ص 43)**

وهنا نشير إلى أن الأديان والمعتقدات هي أنماط لصياغات طقسية وشعائرية تساعد على دمج الحقائق الأساسية وصهرها في أجسادنا لتتحكم بوجودنا كله،ونشير في إطار نسقية وتحليل نسق الدين إلى نظرية دوركايم وخلاصتها أن "المجتمع هو الذي أوحى إلى الإنسان فكرة التقديس والألوهية بمعنى أن المجتمع هو الذي دفع الإنسان إلى الإيمان بقوة أسمى منه وفوق إدراكه ولو لا ذلك ما كان للدين تلك الآثار الكبيرة في الحياة الإجتماعية، وقد شرح دوركايم تطور الفكر الديني بالبدء بالنظام الطوطمي والطوطم فكرة دينية فيها جميع الأشياء المقدسة، وفيه تتجسد قوة خارقة غير عادية تجعله مظهرا ماديا لأشياء معنوية وصولا للأديان السماوية.

(سميح دغيم، 1995، ص 08)

ويمثل الطقس بدوره الجانب التعبيري والذي يظهر في صور ورموز المتجذرة في عمق المتخيل الجمعي لتظهر بأشكال متعددة داخل الفعل الطقوسي... فالدين يدخل في مجال الثقافة بالمعنى الأعم لكونه يأتي بأفكار ومعتقدات، وهو منغمس بالضرورة في الوسط الذي نبع منه ويتجه إلى تغيير الأسس الثقافة كبنية عامة مركزة على مؤسسات حياتية تجذر في أعماق المجتمع والدين. (**بن عامر كريمة، 2008، ص ص 163، 164)**

_المعتقدات الدينية:

المعتقد: يشير المعتقد إلى حالات عامة يعتقد في صدقها أعضاء المجتمع وتختلف المعتقدات الدينية عن الأنواع الأخرى من المعتقدات في تأكيدها على قوى ما فوق الطبيعة.(**غامري محمد حسن، 1991، ص 126)**

والمعتقدات على وجه العموم هي: تمثلات تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة، القوة، والفضيلة وعلاقتها مع بعضها ومع الأشياء الدنيوية. (**إيكه هولكترانس، 1972، ص 213)**

ويعرف **"فراس السواح"** في كتابه دين الإنسان "أن المعتقد أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني. (**السواح فراس، 2002، ص 47)**

وتشمل المعتقدات الدينية مجمل الأفكار والمبادئ التي مصدرها الأساسي الدين، ويعتبر ميشيل مايير أن الدين هو مجموعة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله ومع الناس وفي حق أنفسنا. (**الخريجي عبد**

الله، **1990، ص 34**) ومن خلال ما تم عرضه نلاحظ أن من خلال المصطلح أن الدين هو الذي يحدد علاقاتنا مع الله مع الآخرين من خلال ضبط الممارسات الدينية التي تصدر في شكل أفكار ومبادئ.

فالمعتقدات الدينية تصنف حسب دوركايم أنها كل الأشياء الواقعية وغير الواقعية التي يؤمن بها الناس فيقسمها إلى صنفين أساسين وهما الأشياء المقدسة والأشياء غير مقدسة، وتجسد هذه السمة على كافة أصناف الفكر التي تحمل طابع إلا دينيا، كالمعتقدات والأساطير الخرافية، والأساطير، وكافة الأنساق الفكرية التي تتجسد فيها وتعبر من خلالها عن طبيعة الأشياء المقدسة، والفضائل والقوى التي تنتمي إليها.

(**الخريجي عبد الله، 1990، ص 102**)

2.1- أنثروبولوجيا السحر:

-الدين والسحر: يمثل السحر من بين أهم المعتقدات التي عرفتها البشرية، فالممارسات السحرية تعتبر جزء من الاعتقاد الديني، وما قامت دراسة تهتم بالدين ومختلف القضايا التي تندرج ضمنه سواء من الناحية الإجتماعية والأنتروبولوجية والفلسفية إلا واتجهت باهتمام صوب محاولة التمييز بين السحر والدين، والدين والمعرفة والعلاقة بينهما. (**هنري برجسون، 1945، ص 151**)

إهتم **"كارل ماركس"** بدراسة السحر وعلاقته بالدين فقد أشار إلى أن الإنسان هو الذي يصنع الدين، وليس الدين هو الذي يصنع الإنسان، والدين أفيون الشعوب، وقد كان متفق مع فكرة أن أقدم أشكال الدين إرتبطت بعبادة الطبيعة أو ما يطلق عليه المذهب الإحيائي هذا هو المنبع الذي يضرب فيه السحر بجذوره، على جانب الأخر من تطور المجتمعي.

وكان العلامة والمنظر الإجتماعي البريطاني **"هربرت سبنسير"** أول من نشر نموذجا تطوريا اجتماعيا صور فيه السحر على أنه نموذجا بدائيا للدين يقوم على العلاقات المتجانسة وعبادة الأسلاف ولكنه- كممارسة- قابل للتكيف مع تطور الدين، بحيث يستطيع الدين والسحر التعايش معا.

ويرى "**تايلور**" أن السحر كان موجودا في بادئ الأمر باعتباره تعبيرا عن الفكرة الإحيائية التي ترى أن الأشياء - وكذلك البشر- لها أرواح أو جوهر روحاني وكان الفكر الإحيائي والسحر سمة الشعوب التي تحتل مراتب دنيا على مقياس الإنسانية، ثم تتطور الدين كفئة مستقلة من مفهوم الروح البشرية ثم كانت الخطوة التطورية التالية هي التحول من الشرك إلى التوحيد. (**ديفيز أوين، 2014، ص ص،19، 20**)

أما "**مالينوفسكي**" فقد اهتم بوظيفة السحر والدين في المجتمعات ولم يولي اهتماما لنشأة كل منهما وأعطى إختلاف بين كل من الشعائر الدينية والممارسات السحرية، فأشار إلى أن الأولى ليس لها غرض خفي في حين الثانية تهدف إلى تحقيق غرض خاص، أن كل هدف له متضمنات سيكولوجية وسوسيولوجية، وهذا ما لاحظه "**مالينوفسكي**" حينما قام بدراسة المجتمع ميلانيزيا عندما حدث في المنطقة أعاصير وأن أحد السحرة وهو يأمر الإعصار بالتوقف ويؤكد لأفراد القبيلة أن ليس ثمة ضرر سيلحق بقريتهم.(**الغامري محمد حسن، 1991، ص 131**)

وإهتم "**إميل**" بدراسة وتفسير النظم والممارسات الدينية حيث يشير إلى أن الدين في جوهره العام نظام مركب من الأساطير والشعائر والطقوس، ومن أجل الكل يجب تفكير هذا المجموع المميز للظواهر الأولية التي تنتج عنها الأديان هذه هي الوسيلة الوحيدة على وجه الخصوص حتى يمكن معالجة حالة العناصر الدينية التي لا تتعلق بأي دين، كبقايا أثار أديان انقرضت ومخلفات أو ممارسات فولكلورية.

ومن هذه المقدمات المنهجية المطروحة تبين أن الظواهر الدينية تنتظم في فئتين رئيسيتين: المعتقدات والشعائر أو العادات. والمعتقدات هي تمثلات تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة القوة والفضيلة التي تخلع عليها تاريخيا وعلاقتها مع بعضها ومع الأشياء الدنيوية والعادات أو الشعائر التي تعتمد على المعتقدات هي عبارة عن قواعد للعمل تتصف وتحدد كيف يجب على الإنسان أو يتصرف مع الأشياء المقدسة، والتميز بين ما هو مقدس وبين ما هو دنيوي هو إذن في قلب كل دين، فالمعتقدات الدينية المعروفة سواء كانت معتقدات بسيطة ومركبة تظهر صفة مشتركة. **(دانيال هرقيه ليجيه، جان بول ويلام، 2005، ص ص 214،213)**

وهنا نلاحظ أن المعتقدات الدينية تلعب دورا بارزا في تحديد مختلف الممارسات الدينية وهو الأمر الذي جعل بعض الطقوس السحرية تمارس باعتبارها شعائر تندرج ضمن الدين.

وفي رؤية الوظيفية البنيوية فإن الدين باعتباره الرابطة الموحدة للمجتمع، فهو يحلل كيفية إسهام الدين في الحفاظ على البنية الاجتماعية للجماعة، وهنا يأتي توجيه الانتباه إلى السحر الذي له سياق لا يمكن مقاومته، والنظرية الأساسية هنا تمثلت في ازدياد سحر الاتهامات في كقياس السلالة الاجتماعية: عندما تتغير المجتمعات بسرعة فإنه يعتقد أن هذا يزيد الضغط على العلاقات الاجتماعية، الذي يحول الناس بدورهم إلى اتهام الآخرين بالسحر. **(جاد أحمد محمد، صفحة 22)**

ويرى الباحثون في الأنثروبولوجيا وتاريخ الأديان أن هناك تداخل بين السحر والدين سواء في النشأة أو إستراتيجية العمل. ويشير بعض الباحثين إلى أن السحر والدين نشأ معا حينما واجه الإنسان الأول الطبيعة وغوامض الكون وسعى إلى محاولة تامين حياته. ومن أقدم أشكال سعيه لحماية نفسه وتأمين بقائه في عالم غير مهتم بوجوده وغير مكترث لموته ولا يدري عن الصعوبات التي تواجهه، فحاول ذلك الإنسان النفاذ إلى مكنونات الغوامض التي تواجه به العالم، ومن تلك المحاولات سعى لدرء الشر مما يعتقد أنه خطر يتربص به من قوى فوق الطبيعة ومحاولة الانتقال من مرحلة استرضائها لتكون معه لا عليه. ومن المسعى الأول في درء الشر نشأ السحر ومن المسعى الثاني في الاسترضاء نشأ الدين.

ولقد بدأ السحر والدين معا لكن انفصالهما كان محتوم، فرغم أنهما نشأ بسبب خوف الإنسان وفضوله ونزوعه نحو القوة وسعيه إلى تامين بقائه وإشباع حاجاته إلا أن اختلاف مقومات كل منهما أدى إلى قيام الصراع بينهما. **(درنوني سليم 2017، ص 66)**

–الفرق بين السحر والدين: من حقنا أن نتساءل عن علاقة السحر بالدين والطبيعة التي يحملها كل منهما ،ولعل أصعب إشكالية واجهت الأنثروبولوجين في دراسة المجتمعات البدائية هي إشكالية التمييز بين السحر والدين،

وأعيتهم الحيلة للوصول إلى رأي موحد بهذا الشأن نظرا لتداخل مظاهر السحر ولأن ما تعده الثقافة دينا ينظر إليه ممارسات دينية على أنها من أعمال السحر المحرمة والكهانة والكفر. ومن الآراء التي ساقها الأنثروبولوجيين بهذا الشأن القول بأن السحر ذرائعي ووسائلي يمكن تسخيره لجلب المنافع أو لإحداث الضرر وهو لا يشمل على أي بعد روحي أو أخلاقي، بينما الدين تغلب عليه النزعة الأخلاقية ويتعلق بأمور الآخرة أكثر منه بأمور الدنيا.

ويرى "**جيمس فريزر**" في كتابه الغصن الذهبي أن السحر مثله مثل العلم والتكنولوجيا ما هو إلا وسيلة الرجل البدائي للسيطرة على قوى الطبيعة وتسخير قوانينها لمصلحته من خلال إجراءات معينة فهو علم البدائيين فالساحر مثله مثل العالم يحاول التأثير على القوى الطبيعية وتسخيرها لمنفعته. (**درنوني سليم،2017، ص 59**)

ورغم اندماج الدين بالسحر في العديد من العصور وفي أنحاء كثيرة من العالم هناك ما يبرر الاعتقاد أن هدا الاندماج ليس بدائيا، وأن السحر وحده كان محط ثقة الناس في تلبية حاجاتهم التي تتجاوز رغباتهم الحيوانية المباشرة، وإذا ما فكرنا بأساسيات الدين والسحر فإننا سنميل إلى الاعتقاد بأن السحر سبق الدين في تاريخ البشرية، كما أن السحر يمثل تطبيقا خاطئا لأبسط العمليات الذهنية وهي تحديدا ربط الأفكار بالتشابه والاستمرار، بإضافة إلى أن الدين يفترض عملية واعية تقوم بها قوى شخصية تفوق الإنسان خلف الشاشة المرئية للطبيعة. (**جيمس فريزر،2014، ص 84**)

ويشير تايلور إلى أن هناك أربعة أسباب لإيمان الشعوب بالسحر وهي كالتالي:

- ✓ بعض نتائج السحر تحدث فعلا ولكن لاشك في ذلك من قبل الصدفة.
- ✓ غالبا ما يستخدم الساحر الخداع والإيهام والإيحاء والتلاعب بالألفاظ العمومية التي تحتمل كافة التأويلات الشخصية.
- ✓ المؤمنون بالسحر يذهلون من النتائج التي تحدث ويتأثرون بها.
- ✓ عدم تحقق المطالب يفر دائما بوجود قوى سحرية مضادة تعمل على إنجاح المطلوب وتستدعى أعمالا سحرية أخرى ضد السحر المضاد.(**محمد الخطيب، 2000، ص 152**)

وكذلك ما يميز الدين عن السحر هو أن الأول يمثل الممارسات والطقوس العامة والظاهرة للعيان، والثاني من الطقوس السرية والخاصة للفرد التي لا يمكن ممارسته علنا.

ولقد ميز "**مالينوفسكي**" بين الدين والسحر فقد أشار إلى أن السحر له نهاية في المهمة التي قام من اجلها، وقارن بين الطقوس السحرية التي تقام لمنع موت الطفل وبين الطقوس الدينية التي تقام لتبارك مولد الطفل، فالأولى (طقوس سحرية) لغرض عملي محدد ويكون معروفا للقائمين بهذه الطقوس، أما الطقوس الدينية فهي ليست لغاية بل هي غاية في حد ذاتها، فالطقوس الدينية تعبر عن مشاعر.

ويوجز مالينوفسكي أوجه التشابه والاختلاف بين الدين والسحر فيما يلي:

- ✓ يتشابه الدين والسحر في أن كلا منهما يقوم بوظيفته في مواقف الضغوط العاطفية,

✓ كل واحد يشكل مجالات لهروب الأفراد إليها من مواقف الضغوط لما تقدمه من طقوس ومعتقدات، تعكس سيطرة ما هو وراء الطبيعة.

✓ كل واحد يركز على الميثولوجيا.

✓ كل واحد يوجد في مناخ إعجازي.

✓ كل واحد محاط بالتابو"محرمات" والملاحظات التي تميز أفعاله عن غيرها في العالم الدنيوي.

ويختلف السحر عن الدين في :

✓ السحر يهدف إلى غاية عملية، في حين أن الدين هو غاية في حد ذاته.

✓ المعتقدات السحرية بسيطة، في حين أن الدين يقدم جوانب وأغراضا متعددة، ومعقدة، فهو أكثر تنوعا وأكثر خلقا.

✓ السحر يمد القدرات العملية للإنسان، فوظيفته إضفاء القدسية على تفاؤل الإنسان، ليزيد من إيمانه بانتصار الأمل على الخوف.

✓ الدين يمد الناحية الأخلاقية في الإنسان عن طريق تزويده بالاتجاهات العقلية القيمة".

(مهدي محمد القصاص، 2008، ص ص 31، 32)

وأشار مالينوفسكي عند تميزه بين السحر والدين عن الشعائر الدينية من حيث كونها غاية في حد ذاتها وليست وسيلة، إذ تؤدي الشعائر عند حدوث ولادة مثلا أو عند الاحتفال بعيد ما دون أي غرض، وهو يرى أن الشعائر الدينية تعبر عن مشاعر كل المشتركين فيها بوضوح، ومع ذلك فليس لها غرض يطلب من وراء ذلك.

(سيف الدين هيبة، 2008، ص 06)

فالسحر مصنوع من معتقدات و شعائر، له أساطيره وعقائده، مثله في ذلك مثل الدين، هذه الأساطير والعقائد أكثر بدائية فحسب، والأرجح أن سبب ذلك هو أن السحر يسعى إلى غايات تقنية ونفعية لا يضيع وقته في التأملات المحض، كم له احتفالاته وأضاحيه وتطهيرا ته... ولا يمكن تميزه عن الدين، وان السحر مليء بالدين، مثلما الدين مليء بالسحر، وانه يستحيل فصلهما لكن ما يجعل الدفاع عن هذه الأطروحة صعبا هو النفور الواضح للدين من السحر، بالتالي عداء السحر للدين، ويستخدم السحر نوعا من المتعة المهنية في ازدراء الأشياء المقدسة، ففي شعائره ما يناقض الشعار الدينية. **(إميل دوركايم، 2019 ، ص ص 66،68)**

3.1– الأسطورة وأنثروبولوجيا:

_تعريف الأسطورة: الأسطورة ظاهرة دينية و إنسانية نشأت لدى الشعوب في العصور ما قبل التاريخ، ولا زالت موجودة في عصرنا الحالي عند القبائل البدائية التي لها تاريخ حقيقي، كم أنها محاولة لفهم الكون أو العالم بشتى ظواهره وتقديم تفسيرات له، وهي لا تخلو من منطق معين ومن رؤية أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد، حيث حاول الإنسان أن يضفى عن طريق الأسطورة طابعا فكريا على تجربته، وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفيا أكثر عمقا. **(قاسم علي حسين، 2016، ص 14)**

وينظر علماء إلى أن الباحث الانثروبولوجي يبحث عن المصادر المرحلية لتوليد الثقافة في المجتمع، وهنا تمنح سلالة الطقوس الدينية وتقاليد العبادة في المجتمعات القديمة نماذج غنية بالأفكار للتبصر في صور نظرة الإنسان إلى أسرار الكامنة في الكون والأمور الغامضة في الحياة. ومن جانب أخر يمكن النظر إلى الأسطورة باعتبارها نوعا من التعبير الرمزي عن أساسيات تجارب الحياة البشرية. (**مصطفوي محمد، 2014، ص 23**)

أما مالينوفسكي فيرى أن الأسطورة ركن أساسي من أركان الحضارة الإنسانية تنظم المعتقدات وتعززها وتصون المبادئ الأخلاقية وتقومها، تضمن فعالية الطقوس وتنطوي على قوانين عملية لحماية الإنسان".

(**مجموعة مؤلفين، 2005، ص 19**)

فالأسطورة تمثل نظام اجتماعي تتصف بالطابع القدسي التي يحدد مكانتها ضمن التراث الشعبي وثقافات المجتمع لتعبر عن أحداث جرت في الماضي وتشمل موضوعات شمولية مختلفة.

_نشأة الأساطير: في محاولة علماء التاريخ والميثولوجيا تفسير نشأة الأساطير وتحديد بدايتها وبيان أسبابها وبواعثها، نجدهم لا يتفقون على أسباب محددة، فمنهم من يرى أن كلمة الأسطورة ترتبط ببداية الحياة على الأرض حيث كان البشر يمارسون السحر ويستحضرون الأرواح الشريرة ويؤدون طقوسهم الدينية لأجل التعايش مع الطبيعة والرغبة في تفسير ظواهرها، ومنهم من يرى أن الأساطير نشأت استجابة لعواطف الجماعات القاهرة كالملوك والكهنة، ومنهم من يرى أنها تراكم لنتاج الفكر الإنساني المبدع في مجال الأدب تصدر في الغالب عن حكيم القوم ويتناولها الرواة بإضافة عليها نوع من الخيال، وقد تتعرض للزيادات وفق الظروف الاجتماعية المستجدة من مجتمع لأخر ومن زمن لأخر ، وهناك من ينسب الأساطير إلى المنشأ الطبيعي المتصل بعناصر الطبيعة كالأجرام السماوية والشمس التي طالما سحرت الإنسان وأثارت تأملاته، ومنهم من اعتقد أن الأسطورة استمدت من الطقوس كأداة لإعطاء التبرير لتلك الطقوس التي ورثوها عن أبائهم وتمسكوا بها دون أن يعرفوا لها معنى أو غاية.

(**قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية،2009، ص 30**)

_النظريات المفسرة لأصل الأسطورة:

_النظرية الدينية: التي ترى أن حكايات الأساطير مأخوذة كلها من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غيرت أو حرفت.

_النظرية التاريخية: التي تذهب إلى أعلام الأساطير عاشوا بالفعل وحققوا سلسلة من الأعمال العظيمة ومع مرور الوقت أضاف إليهم خيال الشعراء ما، وضعهم في ذلك الإطار الغرائبي الذي يتحركون خلاله في جو الأسطورة.

_ النظرية الرمزية: وهي تقوم على أن كل الأساطير بكل أنواعها ليست سوى مجازات فهمت على غير وجهها الصحيح أو فهمت حرفيا.

_ **النظرية الطبيعية:** وبمقتضاها يتم تخيل عناصر الكون من ماء وهواء ونار في هيئة أشخاص أو كائنات حية أو أنها تختفي وراء مخلوقات خاصة وعلى هدا النحو وجدت لكل ظاهرة طبيعية – ابتداء من الشمس والقمر والبحر – كائن روحي يتمثل فيه ويتبنى عليه أسطورة أو أساطير .

(قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية،2009، ص 31)

_الأسطورة في نظر الأنثروبولوجين

-.الأسطورة في تصور مالينوفسكي:

الأسطورة في نظر "مالينوفسكي" ليست نظاما رمزيا بل إنها تعبير مباشر عن موضوعاتها الواقعية حيث ميز مالينوفسكي بين ثلاثية: الحكايات الشعبية الخرافات والأساطير (الحكايا المقدسة) ومن ثم قسم الأساطير إلى ثلاثة أقسام الأساطير المرتبطة بالبدايات، الأساطير المرتبطة بالموت وتكرار دورة الحياة، والأساطير المرتبطة بالسحر.

ومن ثم يرى أن الأسطورة في الثقافات البدائية تتميز بوظائف معيشية خاصة، حيث تتبلور من خلالها العقائد والتصورات الثابتة، مضافا إلى القواعد الخلفية والتربوية للمجتمعات... من هنا ينبغي أن نعتبر الأسطورة جزءا لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية، ولا ينبغي اعتبارها قصصا خرافية وواهية، بل على العكس تماما أنها قوى فعالة ومؤثرة لتحيق المقاصد والآمال الاجتماعية، فالأسطورة هي حقيقة اجتماعية تفسر بها ومن خلالها قضايا ومسائل اجتماعية أخرى بما في ذلك الدين والمعتقدات البشرية على مر البشرية. **(مصطفوي محمد، 2014، ص 49)**

–.تصور ليفس ستراوس للأسطورة : يختزل "**ستراوس**" علم البدائيين بالأسطورة، كما يختزل الأسطورة بالعلاقات التي يكونها الذهن البشري وحسب ستراوس فان الذهن البشري يملك قدرة بنائية هائلة ويستطيع تحويل كل شيء إلى صور خاصة.

ونستطيع أن نوجز تصور ستراوس للأسطورة في الاعتبارات التالية:

- تمتلك الأسطورة بناءا محكما، وهذا البناء يتضمن التحليل والبنائية تسمح لنا بتجزئة كل واحد من تلك الأساطير إلى مكونات الأصلية كما انه بإمكانها أن ترتبط الأساطير ببعضها البعض من خلال كشف قواعدها المنطقية.
- الأسطورة تسبق الطقوس والمناسك الاجتماعية كما أن دور الطبيعة والفكر يتقدمان وجود الإنسان.
- تتحدد كل أسطورة وفقا لكل الصور المعروضة فيها.
- يلاحظ "ليفي ستراوس" في الجزء الرابع من كتاب ميثولوجيات أن كل أسطورة هي بطبيعتها أما أسطورة منقولة، وإما أسطورة مقتبسة نجد جذورها في أسطورة أخرى مصدرها شعب مجاور.

(مصطفوي محمد، 2014، ص ص50،53)

_الأسطورة والدين أيه علاقة؟

يعتبر المفكر **"ميرساد إلياد"** من أبرز المفكرين الذين قدموا مسلمات فكرية ومعرفية لمعرفة العلاقة التي تربط الدين بالأسطورة، فقد إستخدم ميرساد المنهج البنيوي لتحليل فكرة الدين والأسطورة حيث يشير إلى أن بنية

الأسطورة ووظيفتها تتجسد من خلال العلاقة الجدلية القائمة بينها وقد تجسد ذلك في النص الأتي "تنطوي معايشة الأساطير إذا على خبرة دينية حقيقية، من حيث تميزها عن الخبرة العادية التي نختبرها في حياتنا العادية".

(مرسيا إلياد، 1991، ص ص 21 ،22)

وحسب إلياد فإن الأسطورة والدين يشتركان في كونهما عنصرين تاريخيين، مضافا إلى أنهما معا نموذجان للمسالك البشرية، وأن الرموز الدينية ظهرت من خلال تأثير الأشكال الطبيعية للعالم على المجتمع الإنساني والأساطير هي التي تنظم تلك الرموز في ثقافة معينة للتعبير عن الحدس الأزلي، وان تلك الأساطير أضيف إليها كما حرف أصلها الديني حتى خرجت عن الحقيقة الدينية إلى الأسطورة. (**مصطفوي محمد ، 2014، ص 56**).

فالأسطورة تعتبر مكون أساسي من مكونات الدين فإذا ما نظرنا إلى نظام الدين نجد يتكون من المعتقد والأسطورة والطقس وكل هذه العناصر تكمل بعضها تربطها علاقة ولا يمن الفصل فيما بينهم، وللأسطورة دور مهم في تحليل وتوضيح المعتقدات الدينية.

ويحاول المفكر **"جورج ف. توماس"** التمييز بين الدين والأسطورة فيرى أن "علاقة بينها ليست علاقة مطابقة ولا علاقة إختلاف، لكن المطابقة مع الاختلاف، فأسطورة بوصفها جزء مهم وضروري من الديانات البدائية، ولكن يجب أن تصبح رمزا في مرحلة نضج الدين أو اكتماله.

فالدين لابد أن يستوعب ويعبر بصورة أسطورية عن الأفكار لا يمكن فهمها من دون العناصر الحسية للأسطورة وعلى الرغم فلا يستطيع الدين أن يستغنى عن الأسطورة استغناء كليا إلا على حساب تحوله إلى تجربة دينية تستعصي على الوصف من دون مضامين أخلاقية أو ميتافيزيقية...وأن الأسطورة هي جزء من الدين في مرحلة نضجه أو اكتماله، فلا يكون ذلك إلا في حالة التعامل معه بوصفه ترميزا لا يمكن التعبير عنه بصورة حسية.

(قاسم علي حسين، 2016، ص 17،18)

والتالي فان التصور الأسطوري القائم على وجهات النظر بين المفكرين، من اجل فهم العلاقة الجدلية بين الدين والأسطورة و للوقوف على بنية الأسطورة من شتى جوانبها وعلاقتها بالفكر الديني، تمثل إحدى إشكاليات الأنثروبولوجيا الدينية التي تبحث في جوهر الدين بصفة عامة، بإعتباره الفضاء الخصب الذي ينشط فيه جل الممارسات والمعتقدات الدينية والشعبية أيضا وهو الأمر الذي جعل بعض الطقوس والمراسيم السحرية تمارس بإعتبارها شعائر تندرج ضمن الدين.

-خاتمة:

ما يمكن أ ن نستخلصه من خلال هذه الورقة البحثية هو أن هناك ممارسات ومعتقدات دينية ذات علاقة بالسحر والأسطورة وتعتبر أقدم أشكال الممارسات التي لجأ إليها الإنسان، فالدين نظام مركب من الأساطير والتصورات والطقوس، وأن الفكر الديني في جوهره يشتمل على عنصريين أساسين المعتقدات والطقوس، والتمظهرات الطقوسية التي تتعلق بالسحر والأسطورة، هي ظواهر مشتقة من التعبيرات الدينية التي قام المجتمع هو نفسه بإعدادها وإعطائها صبغة دينية.

. قائمة المراجع

1)اميل دوركايم(2019)، **الأشكال الأولية للحياة الدينية(المنظومة الطوطمية في استراليا)**، تر: رندة بعث، ط1،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،بيروت.

2)إيكه هولكترانس(1972)، **قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور**، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، ط2، دار المعارف، مصر.

3)بن عامر كريمة (2008)، **الطقس الديني والضبط الإجتماعي**، مجلة مواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، عدد خاص، أفريل، المركز الجامعي معسكر، الجزائر.

4)تلوين مصطفى، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، دار الفرابي، منشورات الإختلاف، نسخة خاصة بموقع الأنتروبوس.

5)جاد أحمد محمد ، **المناهج الأنثروبولوجية في دراسة الأديان** (دراسة تحليلة نقدية).

6) جيمس فريزر(2014)، **الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين**، تر: نايف الخوص، ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق.

7)حسين عبد الحميد أحمد رشوان(2003)، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.

8)الخريجي عبد الله (1990)، **علم الإجتماع الديني**، ط2، رامتان، جدة

9)دانيال هرقيه ليجيه،جان بول ويلام(2005)، **سوسيولوجيا السحر**، ط1، تر: درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

10)ديفيز أوين، **السحر** (2014)، تر: رحاب صلاح الدين،ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

11)سليم درنوني (2017)، **السحر الديني (الممارسات والطقوس)**، مجلة الأناسة وعلوم المجتمع، العدد الأول جويلية.

12)سميح دغيم (1995)، **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت.

13)سيف الدين هيبة(2008)، **الظاهرة الدينية (الدين والتدين) من منظور الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 3.

14)غامري محمد حسن، **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة(علم الإنسان)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

15)فراس السواح (2001)، **الأسطورة والمعنى** ، منشورات علاء الدين، دمشق.

16)فراس السواح (2002)، **دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، ط4، منشورات دار علاء الدين، سورية، دمشق.

17)فيلالي صالح، **الدين من منظور سوسيولوجي**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة الشارقة، الإمارت العربية المتحدة.

18)قاسم علي حسين(2016)، **جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة- دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين-**، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف.

19)قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية،(2009)، **الأسطورة**، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

20)مجموعة مؤلفين(2005)، **الأسطورة توفيق حضاري**، ط1، جمعية التجديد الثقافي، البحرين.

21)محمد الخطيب (2000)، **الأنثروبولوجيا _ دراسة عن المجتمعات البدائية_**، منشورات دار علاء الدين ، دمشق، سوريا.

22)محمد حسن غامري(1991)، **مقدمة في الأنثربولوجيا العامة**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

23)مرسيا الياد(1991)، **مظاهر الأسطورة**، تر: نهاد خيلط، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق.

24)مصطفوي محمد (2014)، **الدين والأسطورة _ دراسة مقارنة في الفكر الغربي والإسلامي**، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان.
25)المكاوي علي محمد (2007)، **الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان**، ط1، الدار الدولية للإستثمارات ش.م.م، القاهرة، مصر.
26)مهدي محمد القصاص(2008)، **علم الاجتماع الديني**، كلية الآداب، جامعة منصورة.
27)هنري برجسون (1945)، **منبعا الأخلاق والدين**، تر: الدروبي سامي وعبد الدائم عبد الله، ط1، مكتبة مصر.
28)يحي مرسي عيد بدر (2007)، **أصول علم الإنسان الانثروبولوجيا**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر